عينية شاعر العرب الأكبر محمد مهدي الجواهري التي ألقاها في الحفل الذي أقيم في كربلاء يوم ٢٦ تشرين الثاني ١٩٤٧، لذكرى واقعة الطف

فداء لمثواك

محمد مهدي الجواهري

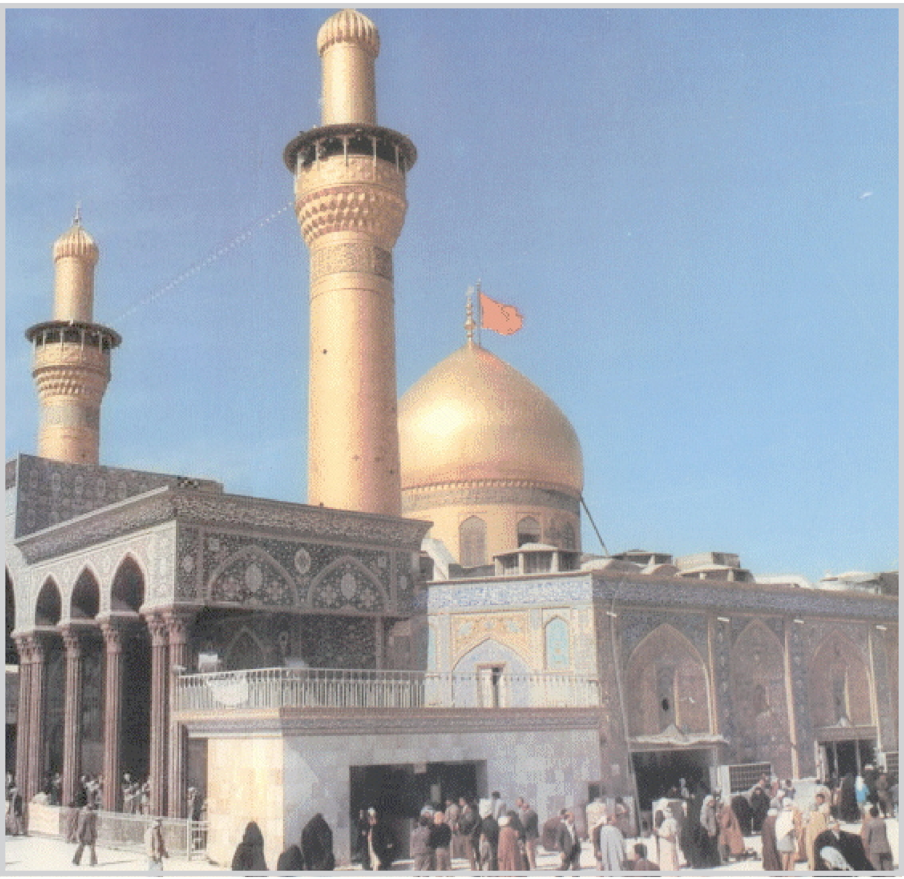

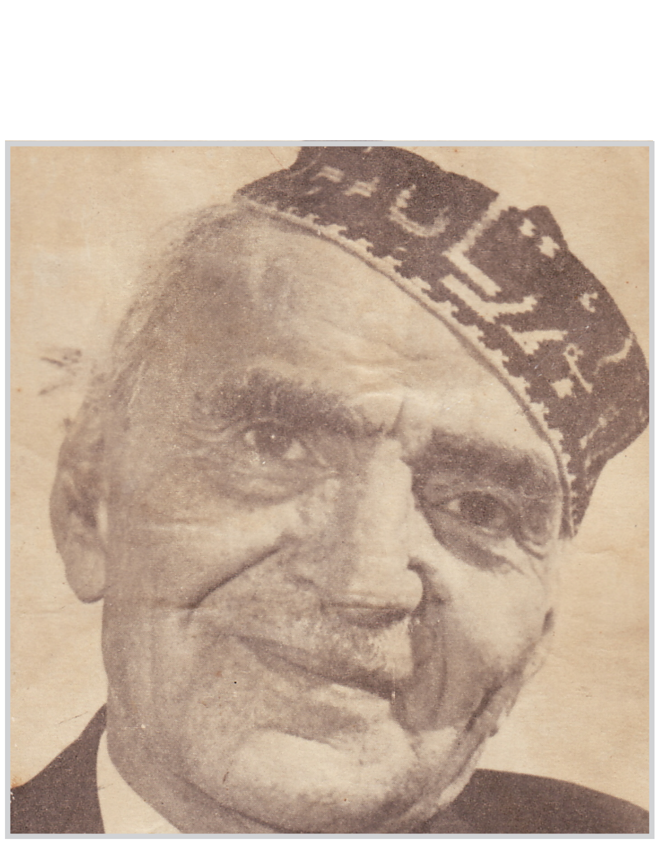

فداءً لمثواك من مضجعِ
بأعبقَ من نفحات الجِنانِ
ورعياً ليومِك يومِ "الطفوف
وحزناً عليك بحبس النفوس
وصوناً لمجدك من أن يُذال
فيا أيها الوترُ في الخالدين
ويا عظةَ الطامحين العظام
تعاليتَ من مُفزعٍ للحتوف
تلوذُ الدهورُ فمن سُجَّدٍ
شممتُ ثراكَ فهبَّ النسيمُ
وعفَّرتُ خدِّي بحيثُ استراح
وحيثُ سنابكُ خيلِ الطغاة
وخلتُ وقد طارت الذكرياتُ
وطفتُ بقبرك طوفَ الخيال
كأنَّ يداً من وراء الضريح
تَمُدُّ إلى عالمٍ بالخنوع
تخبَّطَ في غابةٍ أطبقت
لتُبدلَ منه جديبَ الضمير
وتدفعَ هذي النفوسَ الصغار
تعاليتَ من صاعقٍ يلتظي
تأرَّمُ حقداً على الصاعقات
ولم تُبذرِ الحَبَّ إثرَ الهشيم
ولم تُخلِ أبراجَها في السماء
ولم تقطعِ الشرَّ من جِذمِه
ولم تصدمِ الناسَ فيما هُمُ
تعاليتَ من "فلَكٍ" قُطرُه
فيابنَ البتولِ وحسبي بها
ويابنَ التي لم يضعْ مثلُها
ويابنَ البطينِ بلا بِطنةٍ
ويا غصنَ "هاشمَ" لم ينفتح
ويا واصلاً من نشيدِ الخلود
يسيرُ الورى بركابِ الزمان
وأنت تُسيِّرُ ركبَ الخلود
تمثَّلتُ يومَك في خاطري
ومحَّصتُ أمرَك لم أرتهب
وقلتُ: لعلَّ دويَّ السنين
وما رتَّلَ المُخلصون الدُّعاةُ
ومن "ناثرات" عليك المساءَ
لعلَّ السياسةَ فيما جنَت
وتشريدَها كلَّ من يدَّلي
لعلَّ لذاكَ و"كونَ" الشجيِّ
يداً في اصطباغِ حديثِ الحسين
وكانت ولمَّا تزلْ برزةً
صناعاً متى ما تُرد خُطةً
ولمَّا أزحتُ طِلاءَ القرون
أريدُ "الحقيقةَ" في ذاتِها
وجدتُكَ في صورةٍ لم أُرَع
وماذا! أأروعُ من أن يكون
وأن تتَّقي - دونَ ما ترتئي-
وأن تُطعِمَ الموتَ خيرَ البنين
وخيرَ بني "الأمِّ" من هاشمٍ
وخيرَ الصحابِ بخيرِ الصدور
وقدَّستُ ذكراكَ لم انتحِل
تقحَّمتُ صدري وريبُ الشكوك
ورانَ سحابٌ صفيقُ الحجاب
وهبَّت رياحٌ من الطيِّبات
إذا ما تزحزحَ عن موضعٍ
وجازَ بيَ الشكُّ فيما مع
إلى أن أقمتُ عليه الدليلَ
فأسلمَ طوعاً إليك القيادَ
فنوَّرتَ ما اظلمَّ من فكرتي
وآمنتُ إيمانَ من لا يرى
بأنَّ (الإباءَ) ووحيَ السماء
تجمَّعَ في (جوهرٍ) خالصٍ

تنوَّرَ بالأبلجِ الأروعِ
رَوحاً ومن مِسكِها أضوعِ
وسقياً لأرضِكَ من مَصرعِ
على نهجِكَ النيِّرِ المَهيَعِ
بما أنت تأباهُ من مُبدَعِ
فذاً ، إلى الآنَ لم يُشفَعِ
للاهينَ عن غدِهم قُنَّعِ
وبُورِكَ قبرُكَ من مَفزَعِ
على جانبيهِ ومن رُكَّعِ
نسيمُ الكرامةِ من بلقعِ
خدٌّ تفرَّى ولم يَضرَعِ
جالت عليه ولم يخشعِ
بروحي إلى عالَمٍ أرفعِ
بصومعةِ المُلهَمِ المُبدعِ
حمراءَ " مبتورةَ الإصبعِ"
والضيمِ ذي شِرَقٍ مُترَعِ
على مُذنِبٍ منه أو مُسبِعِ
بآخرَ مُعشوشبٍ مُمرِعِ
خوفاً إلى حَرَمٍ أمنعِ
فإن تدجُ داجيةٌ يلمعِ
لم تَنءِ ضيراً ولم تنفعِ
وقد حرَّقتْهُ ولم تزرعِ
ولم تأتِ أرضاً ولم تُدقِعِ
وغِلَّ الضمائرِ لم تنزعِ
عليهِ من الخُلُقِ الأوضعِ
يدورُ على المحورِ الأوسعِ
ضماناً على كلِّ ما أدَّعي
كمثلِكَ حَملاً ولم تُرضِعِ
ويابنَ الفتى الحاسرِ الأنزعِ
بأزهرَ منكَ ولم يُفرِعِ
ختامَ القصيدةِ بالمطلعِ
من مُستقيمٍ ومن أظلعِ
ما تستجِدُّ لهُ يتبعِ
وردَّدتُ صوتَكَ في مَسمعي
بنقلِ " الرُّواةِ " ولم أُخدَعِ
بأصداءِ حادثِكَ المُفجِعِ
من " مُرسِلينَ " ومن "سُجَّعِ"
والصُّبحِ بالشَّعَرِ والأدمعِ
على لاصقٍ بكَ أو مُدَّعي
بحبلٍ لأهلِيكَ أو مَقطَعِ
وَلُوعاً بكلِّ شَجٍ مُولَعِ
بلونٍ أُريدَ لهُ مُمتِعِ
يدُ الواثقِ المُلجأ الألمعي
وكيفَ ومهما تُرِد تصنعِ
وسترِ الخداعِ عن المَخدعِ
بغيرِ الطبيعةِ لم تُطبَعِ
بأعظمَ منها ولا أروعِ
لِحمكَ وَقفاً على المِبضعِ
ضميرُكَ بالأسَلِ الشُّرَّعِ
من "الأكهلينَ" إلى الرُّضَّعِ
وخيرِ بني " الأبِ " من تُبَّعِ
كانوا وِقاءَكَ ، والأذرعِ
ثيابَ التُّقاةِ ولم أدَّعِ
يضِجُّ بجدرانِهِ الأربعِ
عليَّ من القلقِ المُفزِعِ
و" الطيِّبينَ " ولم يُقشَعِ
تأبَّى وعادَ إلى موضعِ
" الجحودِ " إلى الشكِّ فيما معي
من " مبدأ " بدمٍ مُشبَعِ
وأعطاكَ إذعانةَ المُهطِعِ
وقوَّمتَ ما اعوجَّ من أضلُعي
سوى العقلِ في الشكِّ من مرجعِ
وفيضِ النبوَّةِ ، من منبعِ
تنزَّهَ عن (عَرَضٍ) المطمعِ